النبط

تاريخهم:

النبط شعب عربى أسس فى القرون الأخيرة السابقة على ميلاد المسيح مملكة على أنقاض المملكة الأدومية فى شمال البلاد العربية وجنوب فلسطين وبلاد الشأم.

وكانت حاضرتهم الشمالية (سلع) وهى واقعة فى وادى موسى بالقرب من معان، ونحن نجهل اسمها النبطى، إذ إننا لم نجده فى نقوشهم التى وجدت حتى اليوم، غير أن اليونان والرومان كانوا يطلقون عليها اسم PETRA أى الصخرة، ومن المحتمل أن النبط باسمها القديم هسيلع Haselē أى الصخرة الوارد فى التوراة لموضع فى بلاد أدونيم جنوب القدس، وعنهم ترجم اليونان والرومان هذا الاسم إلى Petra.

يقول استرابون الجغرافى اليونانى القديم مايلى:

وعاصمة النبط بطرا أى الصخرة كما تسمى... إلخ (Strabo ترجمة Jones الإنجليزية .The Loeb Classical Library مجلد ٧ ص ٣٥١) ومن هذه العبارة يتبين أنها كانت تسمى باسم الصخرة هَسيلع وترجم اليونان هذا الاسم إلى Petra.

وكانت عاصمتهم الجنوبية الحجر وتعرف الآن باسم مدائن صالح وهى واقعة على سكة حديد الحجاز بشمال بلاد العرب.

ولا يعرف العلماء شيئا عن تاريخ النبط قبل العصر الهيليني، ويقول المستشرق الإنجليزى Cooke فى كتابه: North Semite Inscriptions. ص ٢١٥ ما يلى: إنه من المحتمل أن كلمة Na-ba-ai-ti. التى كانت تطلق على قبائل عربية فى: The Rassam Calinder of Assur banipal.

فى: Keilinschriftiche Bibliothik

مجلد ٢ ص ٢١٦-٢٢٢ تعنى الشعب النبطى وفى العصر الهيلينى نرى النبط لأول مرة على مسرح التاريخ فى عهد أنتيجون فى ٣١٢ ق.م. حيث يروى ديودور الصقلى فى أخباره أن أنتيجون أرسل حملتين لتأديب النبط، كما يحدثنا أيضا عن مقاومة جيش نبطى مؤلف من عشرة آلاف جندى لجيوش أنتيجون.

ونجد فى القرن الثانى ق.م. تلك القبائل البدوية التى كانت تعيش فى ناحية سلع (بطرا)، كما يحدثنا ديودور أيضًا أن تلك القبائل قد اتحدت وأنشأت مدنًا وقرى وأسست مملكة ديمقراطية على أنقاض المملكة الأدومية يحكمها ملك ديمقراطى.

وأوّل ملك نبطى يعرفه التاريخ هو حارثة الأوّل، وقد حكم فى سنة ١٦٩ ق.م. وهو الذى لجأ إليه Jassn لأن النبط كانوا أصدقاء لأسرة المكابيم (كتاب Cooke ص ١٦) وتولى الملك بعد ذلك Erotimus (هرثمه أو هرثم) وقد حكم من سنة ١٣٩-١٠٠ ق.م. وهو يعدّ المؤسس الحقيقى للدولة النبطية، وقد قام بعدة غزوات فى سوريا ومصر لبسط نفوذه عليها وقد اشتبك فى الحرب مع Kyzibenos و Antochos Grypos وكليوباترا وبطليموس Lathuros.

وقد بلغت المملكة النبطية فى عهده مبلغًا من القوة أخاف اليهود وبقية الأمم المجاورة حتى أهل روما، فقد خشيت على مستعمراتها فى الشرق أن تبتلعها هذه الدولة الفتيّة، فعملت على مناهضتها والحدّ من سلطانها، وابتدأت المنازعات بينها،

فأخذ النبط يغيرون على المستعمرات الرومانية ويستولون عليها، ففى سنة ٨٥ق.م. أغار حارثة الثالث ملك النبط على سوريا واستولى على دمشق وصكّ فيها عملةً باسمه، غير أن عاهل الرومان بومبى سرعان ماانتزعها منه وأعادها إلى الإمبراطورية الرومانية.

وفى سنة ٢٣ ق.م. انتزع اغسطس قيصر الرومان من النبط Auranitis, و Trachonitis و Patanaea وهى مقاطعات فى جنوب سوريا وشرق الأردن ومنحها إلى صديقه هيرود العظيم ملك اليهود، وذلك فى حكم عبدت الثالث ملك النبط.

وفى سنة ٩ ق.م. تولّى حارثة الرابع على عرش النبط وكان محبوباً لدى أغسطس أثيراً عنده فهدأت المنازعات وحسنت العلاقات بينهما حتى إنه أذن للرومان بوضع حامية رومانية فى المدينة النبطية Leuke Kome (المدينة البيضاء) لصدّ هجمات البدو الموجهة إلى الحدود المصرية، وقد ساعد أغسطس فى الحملات التى قام بها القائد الرومانى Gallus لغزو بلاد اليمن إذ أرسل إليه سُلّى وزيره المشهور ليكون دليل الحملة، وزوّده بألف جندى نبطى، غير أن سُلّى خدع القائد الرومانى إيليوس جالوس لمطامع فى نفسه، وسار بالحملة فى طرق وعرة غير مطروقة فهلك معظم الجيش وباءت الحملة بالفشل فلاقى سُلّى جزاءه فى روما حيث شنق هناك (استرابون. الترجمة الإنجليزية مجلد ٧ ص ٣٥١).

وحسنت العلاقات بين حارثة الرابع وبين المملكة اليهودية، واستتب السلم بينهما حتى إن هيرود أنتيباس وهو ابن هيرود العظيم تزوّج ابنة ملك النبط غير أنه سرعان ماهجرها إلى هروديا زوجة أخيه، فعادت الزوجة النبطية إلى أبيها الملك فعمل على القصاص من هيرود فتعكّر جو السلم ونشأت بينهما منازعات عنيفة.

وفى سنة ٣٨ م. استولى حارثة الرابع على دمشق ويرجح أن Caligula قد منحها له كعربون للصداقة والسلم (Cooke ص ٢١٥) وظلت دمشق فى أيدى النبط وتحت سلطانهم حتى سنة ٦٢ م. حيث نجد فيها نقودًا مصكوكة باسم نيرون عاهل الرومان وذلك فى عهد مالك الثانى ملك النبط الذى حكم من سنة ٤٨ إلى سنة ٧١ م. ومن هذا التاريخ عمل الرومان على تقويض المملكة النبطية والقضاء عليها فأخذوا يرسلون إليها الحملات تلو الحملات حتى تغلب عليها حاكم سوريا Cornilins pālma وهزم ربيئل الثانى واستولى على سلع (بطرا) عاصمة النبط وضمها إلى المملكة الرومانية فى سنة ١٠٦ م. وبسقوطها دالت الحكومة النبطية وتقوّض عرش مملكة يقول عنها استرابون ما يلى:

يحكم سلع (بطرا) بعض الأفراد من العائلة المالكة وللملك وكيل يسمى (أخ) وهى محكومة حكماً منظماً للغاية، ومهما يكن من شىء فاثينودوروس وهو فيلسوف وزميل لى ـ وفد إلى مدينة السلعيين ـ اعتاد أن يصف حكومتهم بالإعجاب، وكان يقول إنه وجد كثيرًا من الرومانيين وغيرهم من الأجانب يعيشون هناك، وقد وجد كثيرًا من الأجانب ما يقاضى بعضهم البعض أو يقاضون الوطنيين غير أنه لم ير وطنيًّا يقاضى وطنيًّا آخر بل الكل يعيشون دائماً فى سلام ووفاق.

أسماء ملوك النبط المعروفين وتاريخ حكمهم

حارثة الأوّل	حكم سنة ١٦٩ ق. م.
هرثمة أوهُرثُم	حكم سنة ١٣٩ إلى سنة ١٠٠ ق.م.
حارثة الثانى	حكم سنة ٩٦ ق.م.
عبدت الأوّل	حكم سنة ٩٠ ق.م.

ربئيل الأوّل

حارثة الثالث هو ابن عبدت الأوّل حكم من سنة ٨٧ إلى ٦٢ ق.م.

عبدت الثانى حكم من سنة ٦٢ إلى سنة ٦٠ ق.م.

مالك الأوّل حكم من سنة ٦٠ إلى سنة ٢٨ ق.م.

عبدت الثالث حكم من سنة ٢٨ إلى سنة ٩ ق.م.

حارثة الرابع حكم من سنة ٩ ق.م. إلى سنة ٤٠ م.

مالك الثانى حكم من سنة ٤٨ م. إلى سنة ٧١ م.

ربئيل الثانى حكم من سنة ٧١ م. إلى سنة ١٠٦ م.

لغتهم:

النبط قبائل عربية أغارت على بلاد آرامية فتحضرت بحضارتهم واستخدمت اللغة والكتابة الآرامية فى النقوش وسائر الشئون العمرانية، ولكنها ظلت تتكلم وتستخدم اللغة العربية فى شئونها وأحاديثها اليومية.

ونستدل على ذلك بما يلى:

١ – نجد فى النقوش النبطية القديمة كلمات عربية مستخدمة عوضاً عن الكلمات الآرامية فنرى مثلاً:

(ا) كلمة ولد مستعملة بدلاً من الكلمة الآرامية (يَلْدا)

(ب) كلمة ضريح مستخدمة عوضاً عن الكلمة الآرامية (قَبْرا)

(جـ) جثة مستخدمة عوضاً عن الكلمة الآرامية (فجرا)

(د) شلو مستخدمة عوضاً عن الكلمة الآرامية (هَدَاما)

(هـ) رهن مستعملة عوضاً عن الكلمة الآرامية (يزِف)

كما أننا نجد أنهم كانوا يستخدمون فى نقوشهم كلمة (غير) التى لا توجد فى

الآرامية ولا فى غيرها من اللغات السامية عدا العربية.

٢ - وجود أثر النحو العربى فى النقوش النبطية، فنرى مثلاً أنهم يستخدمون الفاء للترتيب كما فى العربية تماماً مع أنها غير موجودة فى الآرامية، ويستعملون الماضى فى حالة الدعَاء عوضاً عن المضارع فيقولون مثلاً: (لعن ذو الشرى (اسم إله) على حين الآراميون يستخدمون المضارع فى هذه الحالة.

ويستخدمون (مَن) بدلاً عن اسم الموصول الآرامى دِى.

ونجد فى الكتابات النبطية التى كتبت فى القرنين الأوّل قبل الميلاد والأوّل بعد الميلاد أن النبط كانوا يلحقون ياءً على آخر الأعلام المركبة تركيب إضافة كما كانوا يكتبونها فى بعض الأحيان من غير ياء وذلك فى الكتابات النبطية المتأخرة، أما الأعلام المسبوقة بلفظة (بر) وهى كلمة آرامية معناها ابن فإننا لانراها مكتوبةً بالياء مع أنها مجرورة بالإضافة إلى كلمة (بر) مثل: عبدوبرجرمو، وإذا كان العلم مسبوقاً بلفظة (ابن) فإنه يختم بالواو أو الياء أو يجرد منها مثل ابن القينو وابن القينى وابن القين (القين اسم علم).

وقد تساءل الأستاذ الدكتور ليتمان بقوله: هل كان النبط يعرفون الإعراب كما يعرفه العرب، وهل كانوا يستخدمون حركات الإعراب الثلاثة كما يفعل العرب واختتم تساؤله بقوله:

من الجائز أن نقول إنه فى وقت ليس ببعيد عن كتابة النقوش النبطية كان النبط يعرفون حالتين من الإعراب:

الحالة الأولى: هى إطالة حركات الإعراب فى الأسماء المجردة من الإضافة فتنتهى الأسماء والأعلام المنصرفة بالواو فى حالة الرفع وبالألف فى حالة النصب وبالياء فى حالة الجر.

والحالة الثانية: تكون فيها حركات الإعراب قصيرة، وكانت لهم فى هذه الحالة حركتان فقط هما الضمّة والفتحة، أما الأسماء المضافة فتأخذ الضمة فى حالة الرفع والفتحة فى حالة النصب والكسرة فى حالة الجر والأمثلة على الحالتين، وعلى حالة الإضافة فى حركات الإعراب الثلاثة هى كما يلى:

	أعلام منصرفة	أعلام منصرفة معرفة	أعلام مضافة	أعلام ممنوعة من الصرف
فى حالة الرفع:	عبدو	العبدو	عبدُ	أنعمُ
فى حالة النصب:	عبدا	العبدا	عبدَ	أنعمَ
فى حالة الجر:	عبدى	العبدى	عبدِ	أنعمَ

ويقول الأستاذ ليتمان بعد ذلك:

إن هذا بناء فرضى ولكنه يتفق اتفاقاً غريباً مع نهايات بعض الأعلام فى اللغة العبرية، وقد يقال إن النبط لم يعرفوا مطلقاً التنوين ولا التمييم لأنهم لو كانوا عرفوهما لوضعوا نوناً فى نهاية الأعلام والأسماء المنصرفة كما ينطق العرب تلك الأعلام أو لختموها بالميم كما كان يفعل العرب الجنوبيون أو أهل اليمن القدماء، وبعد أن استعرض الكتابات النبطية المكتوبة باليونانية قال: إن النبط كانوا كالعرب الآخرين يعرفون علامات الإعراب الثلاثة، وأنهم كانوا يطيلونها عندما تجرد الأسماء من الإضافة، وضاعت تلك الحركات فى ثنايا التاريخ عندما نسى النبط استخدام هذه الحركات استخداماً صحيحاً.

واختفاء تلك الحركات وبخاصة الواو يمكن مقارنتها بحقيقة فى المصرية القديمة، حيث إن الواو تكتب فقط فى الإمبراطورية القديمة، وسرعان

ما استخدمت الأسماء من غير الحركات النهائية، ومع أن تفصيلات تلك النطورات اللغوية غير معروفة لدينا الآن وليس في الاستطاعة معرفتها معرفةً يقينية، ومع أنه من المحقق أن في الحالة الأخيرة للكتابة النبطية كانت الواو تكتب ولا تنطق فإننا لا نستطيع أن نتحقق من أن الواو كانت تنطق في زمن كتابة النقوش النبطية، ولكن مع ذلك فمن الجائز أن نقول إن عدم اطراد القاعدة أو اختلاف الصيغ التي نشاهدها في النقوش قد ترجع إلى اختلاف لهجات القبائل العربية التي كان يتكون منها الشعب النبطي أكثر مما ترجع إلى اختلاف الزمن.

وما ذكرناه هو رأي الأستاذ ليتمان في تعليل وجود الواو والياء في نهاية الأعلام والأسماء النبطية، وجوابنا على هذا الرأي الذي يقول إن الواو كانت تكتب ولا تنطق أنه على مايظهر ـ متأثر بلفظة عمرو في اللغة العربية المكتوبة بالواو التي لا تنطق، وقد قال الدكتور نولدكه أستاذ ليتمان إن هذه الواو الملحقة على الأسماء والأعلام النبطية هي علامة التنوين التي تدل على الأسماء والأعلام المنصرفة، كما قال بعضهم إن هذه الواو هي عبارة عن نهاية صوتية لحقت الأعلام المركبة عند ترخيمها أي أن الاسم (زيدو) لحقته الواو لأنه رخم من العلم المركب زيدايل مثلاً، وهو في ذلك يشبه (عبدو) في كثير من اللهجات العربية الحديثة فهو ترخيم العلم المركب عبد الله.

ومهما يكن من أمر فالقول إن الواو والياء الموجودة في نهاية الأعلام والأسماء النبطية هي من بقايا إطالة حركات الإعراب، وأن وجود الشواذ في الكتابات النبطية قد يرجع إلى اختلاف لهجات القبائل التي يتكون منها الشعب النبطي أكثر مما ترجع إلى اختلاف الزمن، هو قول حسن ورأي متقبّل وبخاصة أننا نجد نظيره في اللهجات العربية إذ يقول سيبويه في الجزء الثاني من كتابه ص ٢٧١ مايلي:

وزعم أبو الخطاب أن أزد السراة يقولون: هذا زيدووهذا عمرو ومررت بزيدى وبعمرى جعلوه قياساً واحداً فأثبتوا الواو والياء كما أثبتوا الألف، ومن الجائز أن تعلل عدم إشباع فتحة النصب وعدم اطراد قاعدة إشباع الواو والياء فى بعض الأعلام والأسماء النبطية واختلاط بعضها ببعض إلى أن النبط كانوا يعرفون الإعراب، وأنهم كانوا يشبعون حركات الإعراب أيضاً كما كان يفعل أزد السراة. فلما اختلط النبط بالآراميين واختلطت لغتهم العربية باللغة الآرامية عجمت ألسنتهم ونسوا الإعراب، وضاعت علاماته ودلالاته المعنوية بين حروف الإعراب ولم يستطيعوا أن يميزوا بين واو الرفع وياء الجر فخلطوا بينهما، أما حذف الواو والياء والألف من بعض الأعلام التى نشاهدها فى الكتابات النبطية فمرجعه إلى بعض القبائل النبطية التى كانت لا تطيل حركات الإعراب ومثلهم فى ذلك مثل أزد السراة.

المراجع

1 - Enno Littmann: Nabataean Inscriptions from Southern Hauran. Leyden, Brill 1914.

2 - J. Cantineau: Le Nabatēen Paris, 1930.